تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

— بين نيتشه وفاجنر أو بين الخيال والواقع :

تطوع الأستاذ الشاعر محمد فهمى ليتنصف لصديقه الأستاذ عبد الرحمن الخميسى ، وخيل إليه — وما أخصب خيال الشعراء — أنه قد انتصف له !

أول شيء أسجله للأستاذ محمد فهمى أنه رجل طيب ، والدليل على أنه رجل طيب هو أن كل دليل استند إليه لا يغير شيئاً من جوهر الحقيقة التي يقررها ميزان النقد ؛ النقد الذى يقف من النصوص موقف التأمل والمناقشة ، ويقف من التاريخ موقف التمحيص والمراجعة .

لقد قلت إن موسيقى فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع ما لقيته موسيقى فنان من قلم فيلسوف ، وأوردت مما قاله الفيلسوف فى الفنان قليلا من كثير ، ووافقنى الأستاذ فهمى على ما قلت ، ولكنه عاد ليذكرنى بأن هذه الموسيقى قد لقيت أيضاً من قلم نيتشه أسمى آيات المديح ... أنا والله أعلم هذا يا أستاذ ولكن علمى يختلف عن علمك ؛ يختلف عنه بقدر ما تختلف عقلية ناقد عن عقلية شاعر !

يا قراء « الرسالة » تعالوا نسلط الضوء على الدليل الفذ الذى أورده الأستاذ فهمى فى مجال الانتصاف لصديقه ، إنه رسالة ... رسالة من نيتشه إلى فاجنر بمناسبة أول كتاب أخرجه وأهداه إليه ، تلك التى يقول له فيها : « لدل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل ، رداً لجميل عنايتك الفائقة التى أوليتنيها فى خلقه » إلى هنا ونقف قليلا لنفهم الأستاذ فهمى بتشويه الترجمة فى سبيل تأييد رأيه ! إن الكلمات القابلة لهذه الترجمة العربية المشوهة هى :

May this work in some slight degree repay the extraordinary interest you have shown in its genesis. إن التشويه هنا متركز فى عبارة : « رداً لجميل عنايتك الفائقة التى أوليتنيها فى خلقه » لقد ترجم الأستاذ « you have shown » بكلمة « أوليتنيها » تكلموا يا من تعرفون الانجليزية. وترجم « in its genesis » بكلمة « فى خلقه » ، تكلموا يا من تعرفون فن الترجمة ! تكلموا لتقولوا إن المقابلة الصادقة لكلمات نيتشه تتمثل فى هذه الترجمة : « لعل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل ، جزاء لما أبديت من اهتمام بالغ فى أثناء إخراجه » ! — يريد نيتشه أن يقول لفاجنر إنك أظهرت نحوى كثيراً من الاهتمام والعطف بمناسبة أول كتاب ألفته ، وإنى لآمل أن يجزيك إهداؤه إليك أجر ما أظهرت من كريم العاطفة نحو مؤلفه ! ولكن الأستاذ فهمى يريد أن « يجبر » نيتشه على القول بأن كتابه مدين بخلقه لفاجنر !

هذه ملاحظة على هامش المشكلة نعود بعدها إلى جوهر المشكلة ... هل يعلم الأستاذ فهمى فى أية سن اتصل نيتشه بفاجنر ، وفى أية سن بعث إليه بهذه الرسالة المرفقة بكتابه الذى أهداه إليه ؟ لو علم لبحث عن دليل آخر غير هذا الدليل التهافت الذى أورده فى كثير من الزهو والثقة والاعتداد ! لقد اتصل نيتشه بفاجنر فى سن الخامسة والعشرين ، وألف كتابه الأول وأهداه إليه فى سن الثامنة والعشرين ، وفى هذا الوقت كان فاجنر فى الثامنة والخمسين من عمره — شاب ناشئ يخطو أول خطوة فى طريق مجد يتطلع إليه ، وشيخ قطع طريق المجد كله حتى بلغ منتهاه . وهنا نرغم معول التدمير لنهوى به فى « رفق » على الدليل الفذ الذى يزهى به الأستاذ فهمى ويعتد ! شاب ناشئ يتملق أستاذاً فى الموسيقى طبقت شهرته الآفاق ليمهد له طريق الشهرة والظهور ، ولا بد — شأن كل ناشئ يعيش فى رحاب أستاذ كبير — من التملق والمجاملة فى سبيل الوصول إلى تحقيق أمانيه ... هذه هى الحقيقة التى يقررها الواقع ويقررها رومان رولان فى كتابه « L'histoire de la musique » (ص٦٣) ولعل الأستاذ يوافقنى على أن كلمات يمليها التملق فى السن المبكرة ، غير

كلمات يملؤها الإيمان والثقة والفكر الناضج في السن المتأخرة ! يقول نيتشه لفاجنر في سن الثامنة والثلاثين : إنك موسيقي عظيم أشعر بزهو لا يحد حين يقترن اسمي باسمك إلى الأبد ، ويقول له في سن الخمسين : إنك رجل منحل ، متلف هدام ، لا تهز موسيقاك المريضة إلا أعصاب النساء ... بأي القولين نثق وبأي القولين نؤمن ؟ . أيقول الفتى الناشيء المتسلق الذي لا تمينه سنه على وزن الفن بميزان الملكة الناضجة ، أم يقول الفيلسوف المبقري الذي نطق بكلماته الأخيرة في وقت كان يطلق عليه فيه سيد المفكرين ؟ ... إننا نهمل كلمات المجاملة التي نطق بها الفتى الناشيء ليصل من طريقها إلى مجد يتطلع إليه ؛ نهملها ولا نقيم لها وزناً على الإطلاق ، ولا نثق إلا بتلك الكلمات الأخرى التي نطق بها الفيلسوف العظيم في أوج نضجه الفكري واستقامة موازينه وفهمه لحقائق الأمور ، نثق بها لأن نيتشه يقول لنا بصراحة : « إن رأيي الأول في فاجنر قد غيرته السن ، أما رأيي الأخير فلن تغيره الأيام » نفس المصدر « L'histoire de la musique » ، (ص ٦٨) ... إن بعض الآيات في القرآن الكريم يا أستاذ قد نسخت أحكامها أحكام آيات أخرى ، فلم لا تنسخ أحكام نيتشه الأخيرة أحكامه الأولى ، وتلغيها ، وتدفع بها إلى زوايا الإهمال والنسيان ؟!

من هنا يا أستاذ فهمي أصدرت حكمك على هذا الرأي الذي نادى به صديقك ووافقته أنت عليه ، حين يقول إن موسيقى فاجنر قد فتت أكام البقرية في نيتشه ! لقد ولد نيتشه يا صديقي وفي دمه بذور عبقرية موهوبة ، ولو قدر له ألا يرى فاجنر لما تبخرت من نبع فكره الخلق قطرة واحدة من قطرات عبقريته ، وكل من يقول بغير هذا الرأي إنسان لا يحترم عقله ... متى كان إعجاب رجل بآخر ومديحه له دليلا على تفتيت أكام البقرية فيه ؟! إننا نستطيع أن نفرض المستحيل ، والمستحيل الذي نفرضه لنمضي مع الأستاذ فهمي إلى نهاية الشوط ، هو أن نيتشة قد أعجب بفاجنر وأن هذا الإعجاب قد ترتب عليه خلقه لعبقريته . إذا فرضنا هذا وحلقنا في أفق الشعراء والتقطنا النجوم ونثرناها درراً من الكلام ، وخرجنا من هذه الدرر بهذه الحقيقة الفذة ، فإننا نستطيع أيضاً بهذا الميزان الذي يقام على أجنحة الخيال أن نقول إن موسيقى بتهوفن قد فتتت أكام البقرية في جيتة ! ألم يكن جيتة يعجب بموسيقى بتهوفن ، ويقدمها ، ولا يعدل بها موسيقى فنان آخر ؟ لا بأس على الإطلاق من أن نعلن على الملأ هذه الحقيقة التي تذوب خجلا من روعة هذا القياس !

بقي أن نرفع معول التدمير مرة أخرى لنهوي به في «رفق» على آخر دليل أورده الأستاذ فهمي ، وهو أن نيتشة قد صب نقمته على فاجنر حين أقصاه هذا عن بيته وقطع صلته الغرامية بزوجته ، يصدق الأستاذ فهمي هذا الغرض الذي نقل إليه ، فلم لا يصدق هذا الغرض الآخر الذي يمكن أن يقال له ، وهو أن نيتشة لم يخلع على فاجنر أثواب المديح والإطراء إلا بفضل علاقته الغرامية السابقة بزوجته ؟ ! ... ترى أكان نيتشة حين رمى فلسفة شوبنهاور بالزيف والخواء ، ترى أكان متصلا بزوجته أيضاً ثم قطعت هذه الصلة يا أستاذ فهمي ؟ حنانيك يا موازين النقد !

بقي شيء يفرض علي الموقف أن أثبته في ختام هذه الكلمة ، وهو أني أشكر للأستاذ عبد الرحمن الخميسي رحابة صدره في تقبل نقدي له ... الحق أنه أدهشني بهذه الروح المثالية حين لقيني منذ أيام في ندوة الرسالة ، وحين قال إنه لا يضيق بالنقد مهما عنف ما دام هدفه الأول هو الكشف عن الحقائق ووضع كل شيء في مكانه .

إني أسجل إعجابي بهذه الروح الطيبة ، وأرجو أن أكون قد كشفت عن حقيقة الصلة بين نيتشة وفاجنر ، كما يقررها الواقع لا كما يتصورها الخيال !

وللأستاذ الخميسي أطيب تحياتي .

لحظات مع الفنان الفرنسي جان كوكتو :

يزور مصر الآن فنان فرنسي موهوب هو جان كوكتو ، ولا أعرف رجلا من رجال الأدب والفن في عصرنا الحاضر تعددت مواهبه كما تعددت مواهب هذا الرجل ... إن كوكتو رسام وشاعر وكاتب مسرحي وناقد وأديب ، وهو بعد ذلك مخرج مسرحي يشرف بنفسه على إخراج قصصه وقصص غيره في فرقة الممثل الفرنسي الذائع جان ماريه ، وهي الفرقة التي تعمل منذ أيام على مسرح الأوبرا الملكية

ولقد استوقف نظري ما جاء بمقال الدكتور طه حسين بك في « الأهرام » عن كوكتو حين قال : « وجان كوكتو أديب فرنسي ممتاز ، ولـه أن يكون من أظهر الأدباء الفرنسيين وأشدهم امتيازاً في هذا العصر ، وربما كان أظهر الخصال التي تميزه أن نزعاته الأدبية والفنية لا تسلك طريقها إلى الفوز دون أن تلاقي من العقاب والمقاومة ما يثير حولها كثيراً من الخصومة والجدال » !

الواقع أن هـذه الكلمات التي نطق بها أديبنا الكبير تقرر الواقع في كثير من الدقة بالنسبة إلى فن جان كوكتو . . . إن الرجل فنان ممتاز ما في ذلك شك ، ولكن فنه يثير كثيراً من الجدل واختلاف الرأي بين خصومه وأنصاره ، أناس يرفعونه إلى القمة وآخرون يهوون به إلى الحضيض ، والزمن وحده كفيل بتقدير فن الرجل ووزنه بميزانه . ولقد تهيأ لي أن أطلع على أربع رسائل تلقاها من باريس أحد أصدقائي من بعض زملاء دراسته في السوربون ، وهي تدور كلها حول كوكتو وفنه ورحلته إلى مصر : رسالتان تحطان من قدره وتحملان على خلقه ، ورسالتان ترفعان من فنه وتشيدان بمواهبه ، وأنا بين الرسائل الأربع يأخذني العجب من رجل لا يلقى رأياً وسطاً بين المحبين به والمتحاملين عليه !

مهما يكن من أمر كوكتو وأمر خصومه وأنصاره ، فإنني أشارك الدكتور طه دهشته من أن بيئة ثقافية واحدة في مصر ، لم تفكر في إحداث صلة بين هـذا الأديب العظيم وبين شبابنا المثقفين .. الواقع أننا نغط في نوم عميق !

رد ورد قصيرة على رسائل القراء :

أشكر للصديق المجهول الذي كتب إلي من القاهرة جميل تقديره ، وأود أن يبعث إلي باسمه وعنوانه لأرد إليه تحيته ، أما الصديق الآخر المجهول الذي كتب إلي للمرة الثانية من الاسكندرية فأرجو أن يبعث إلي أيضاً باسمه وعنوانه لأجيبه عن أسئلته التي أشرت إليها من قبل ، لأن الإجابة عنها في « الرسالة » ستشغل الصفحات الثلاث المحددة للتعقيبات .

أما الأديب الفاضل سعدي حسن علوان الطالب بكلية العلوم بجامعة فؤاد فيعتب علي تلك التحية التي وجهتها إلى طلاب الأزهر ، ومما جاء في رسالته : « . . وأحب أن تحيي الشباب المخلصين للأدب والفن على أنهم أدباء ، لا على أنهم من طلاب الأزهر أو طلاب الجامعة » ! . . إن ردي على هذا العتاب هو أنني ما حييت هؤلاء الشباب إلا لأنهم أدباء ، ولكن من حقهم علي أن أشير إلى أنهم من الأزهر ، ومن حقك علي أيضاً أيها الأديب أن أحييك مشيراً إلى أنك من الجامعة . وهذه رسالة رابعة من بغداد يناقشني فيها الأديب الفاضل محمد روزنامجي الطالب بكلية الحقوق حول ما كتبته عن الأستاذ سلامة موسى . أحب أن أقول لهذا الصديق العراقي الفاضل إنني أرجو أن يتسع وقتي لأرد عليه في رسالة خاصة . ورسالة خامسة من طنطا يقول مرسلها الأديب الفاضل محمود محمد علي إنه يؤيد ما أبديت من رأي في شخصية بيرون الأدبية والإنسانية ، ويرجو أن أتناول بالنقد والتحليل — كما فعلت عند الحديث عن بيرون — بعض الشخصيات الأدبية في مصر ... إنني أشكر له خالص ثنائه وقد أستجيب لكريم رغبته .

أما الرسالة السادسة فمن « أبو حجرة — سـودان » يقول صاحبها الأديب السوداني الفاضل عبد الرحيم الحاج محمد إنه يود ألا أقتصر في « التعقيبات » على التوجيه الأدبي وحده ، بل يجب أن أخصص جانباً منها للتوجيه الاجتماعي . . يسعدني أن أحقق هـذه الأمنية في القريب . وأقول لصاحب الرسالة السابعة الأديب الفاضل محمد علي مخلوف بمعهد التربية العالي بالإسكندرية إنني سأدفع بقصيدتك إلى الأستاذ الزيات مع تزكيتي ، كما أقول لصاحب الرسالة الثامنة الأديب الفاضل علي أحمد الخطيب الطالب بمعهد الإسكندرية الديني إن الكتاب الذي رجع إليه لا يعتمد عليه ، لأنه يشوه الوقائع الثابتة ويخالف منطق التاريخ .. ولهؤلاء القراء الأصدقاء جميعاً أصدق الود وأخلص التحية .

جولة طويلة في معرضه الفني الإيطالي :

لحظات جميلة وممتعة ، تلك التي قضيتها منذ أيام في معرض الفن الإيطالي . . كم أود أن يزور المثقفون هـذا المعرض الممتاز الذي نظمته جمعية محبي الفنون الجميلة بالقاهرة ومتحف بينالي بمدينة البندقية بإيطاليا ، ليحلقوا بأفكارهم كما حلقت في سماء الفن الرفيع ! يؤسفني أن يضيق النطاق عن التحدث عما شاهدت ، فإلى العدد المقبل حيث أقدم للقراء عرضاً تحليلياً لبعض اللوحات الممتازة التي وقفت منها موقف التأمل والدراسة والمقارنة .

أنور المعداوي